

مسافر من تركيا

هذا مسافر في طلب العلم، ومهاجرٌ لتحصيل المعرفة، ومغترِبٌ لكسب الشرف، أقبل كغيره من آلاف المتشوقين للعلم، الذين قدموا إلى هذه البلاد إلى مهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وبلد العلم والعلماء، جاء ليتعلم العربية، وليدرس العلوم الإسلامية، هذا المسافر هو أحد إخواننا من تركيا اسمه «محمد آيدين» من أسرة مباركة والده يحفظ القرآن مع أنه لا يتكلم العربية. جاء محمد آيدين إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة وتخرَّج بها في كلية الشريعة ثم حصل فيها على الماجستير، والدكتوراه. وكانت رسالته الدكتوراة في تحقيق أحد كتب التراث العربية في موضوع أسباب النزول القرآني وقد نال الشهادة بامتياز مع التوصية بطبع الرسالة. والأخ محمد من أصدقائي الطيبين وكان أثناء وجوده بمكة المكرمة مجاوراً لنا في السكن، وهو معروف بالاستقامة والصلاح كما نحسبه والله حسيبه، وقد أصبح الآن أستاذاً في إحدى الجامعات التركية يدرس العلوم الإسلامية وقد حضرت مناقشة الدكتوراة، وسافر والده من تركيا إلى مكة ليحضر مناقشة ولده ويشرف بنفسه على قطف الثمرة، التي طالما تعهدها ورعاها. فقال ابنه للجنة المناقشة أثناء تقديم الرسالة: اسمحوا لي أن أقدم شكري وتقديري لوالدي باللغة التركية لأنه لا يجيد العربية مع أنه يحفظ القرآن كاملاً!!! هنا انهمرت دموع والده مدراراً وكان موقفاً مؤثراً حقاً واصطرعت في ذهني مشاعر عدّة فكانت هذه القصيدة على لسان والده. وقد كان لهذه القصيدة أصداء بعيدة وعارضها عدد من الشعراء ونشرت

في جريدة المدينة ملحق الخميس .

هتف الفؤاد إلى الأحبة هيا
وقدمتُ والأشواق تَعْمُرُ مهجتي
لرضاك يا ولدي المفدى ها أنا
ولكم سُررنا يا بني وإننا
ما خابت الآمال فيك فها أنا
مهلاً بنِيَّ فَإِن تَكُنْ بِي عُجْمَةٌ
عَلَّمْتِكَ الْقُرْآنَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
ولكم سعدتُ بأن رأيتك عالماً
أبنيَّ إنك من سلالة أُمَّةٍ
أضحى بها الإسلام بعد خموده
مدت على الدنيا بديع رواقها
كم أنجب التاريخ من أمرائها
ما كان أكبرُ همُّه ومراده
بل يخدمُ الإسلامَ ينصرُ أهله
وولاؤه للمؤمنين فلم يكن
يا عَزَّةَ الإسلامَ كم تبكي لها
فمتى أرى الإسلامَ صار مهيمناً
عبدالحميد متى أرى أحفاده
يا من رضيتَ بنهج خير معلِّمٍ
سرَّ يا بنيَّ على طريق محمَّدٍ

فأتيت أطوى الأرض من تركيا
لأرى حبيباً راضياً مرضياً
أطوي المسافات البعيدة طياً
لنخزُّ من فرط السرور بكياً
أجني من الثمر البديع طرياً
فالقلب عاش مع الهدى عربياً
وبذلت جهدي كي أراك تقياً
ومعلِّماً ومجاهداً ووفياً
حازت مقاماً مشرقاً وعلياً
متألقاً في العالمين فتياً
والناس تحت ظلالها تتفياً
شهماً شديد البأس عثمانياً
أن يحفظ الأموال والكرسيّاً
ليعيش مرهوب المقام قويتاً
يهوى يهودياً ونصرانياً
عيني وتجتمع الهموم علياً
ومتى تعود لمجدها تركياً
صانوا وأغلوا منهجاً قدسياً
ورضيت بالله العظيم ولياً
لنفوز بالأجر العظيم سويتاً

من أخبار المسافرين (١٩) الموصلي يسافر إلى وزير مصر

كان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً لطيف الشعر مليح السبك، وهو من أهل الموصل، ولما ضاقت به الحال عزم على قصد الصالح بن رزّيك وزير مصر، وعَجَزَتْ قُدْرَتُهُ عن استصحاب زوجته، فكتب إلى الشريف ضياء الدين بن عبيدالله الحسيني نقيب العلويين بالموصل هذه الأبيات:

وذا تِ شجورِ أسال البين عبرتها كانت تؤمل بالتنفيذ إمساكي
لجت فلما رأني لا أُصيحُ لها بكت فأقرح قلبي جفنها الباكي
قالت وقد رأت الأجمال محدجة والبيت قد جمع المشكوّ والشاكي
من لي إذا غبت في ذا المخل قلت لها:

الله وابن عبيدالله مـولـاك

لا تجزعي بانحباس الغيث عنك فقد

سألت نوء الشريّا جود مغناك

فتكفل الشريف المذكور لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدة غيبته عنها، ثم توجه إلى مصر ومدح الصالح بن رزّيك، ثم تقلّبت به الأحوال وأقام بمدينة حمص وتوفي سنة ٥٨١هـ رحمه الله تعالى ومات غريباً عن وطنه وأهله ولسان حاله يقول:

قد قضى الله أن أموت غريباً في بلاد أساق كرهاً إليها
في فؤادي مخباتٌ معانٍ نزلت آية الحجاب عليها
- الواجب أن يقول: الله ثم ابن عبيدالله ولكن الضرورة الشعرية ألجأته

إلى ذلك غفر الله لنا وله ..

المسافر والليل

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ [٧١] قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٧٢]

[القصص: ٧١-٧٢]

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴾ [٧٤]

[يونس: ٦٧]

الليل حبيب العاشقين، ومأوى المحبين، وخلوة الطائعين، وأنيس الراكعين والساجدين، وميدان المتهجدين، الليل إعلان الرهبة، وعنوان السكون، ومظنة الخشوع، تكثر فيه الآهات، تحلو فيه العبرات. الوصل لا يلذ إلا في الليل، والهجر لا يلذع إلا في الليل، والسرور لا يشع إلا في الليل، والألم لا يرضي إلا في الليل. الليل يفر إليه العاشق بمن يعشقه، ويخلو فيه المحب بمن يحب. يرخي الليل سدوله فيضم تحت رداءه متناقضات عجيبة، فمن حزين يتأوه، ومهموم يتألم، ومحب مهجور، يشكو طوله، ومحب واصل يشكو قصره:

لا أسأل الله تغييراً لما فعلتُ نامت وقد أسهرت عينيَّ عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها
وعابد يتهجّد يناجي ربه، وفاجر يتستر بجرمه، وغريب يبكي غربته،
ورفيق يأنس برفقته، وشاعر يحبّر قصائده، وعالم يقلّب دفاتره، ومفكّر
يسجل خواطره. الليل بكى أناس من طوله، وتبرموا بحلوله، وتخيل

بعضهم أن نجومه شدت بالحبال، وربطت في الجبال، يقول امرؤ القيس :
 فيا لك من ليلٍ كأن نجومه بكل مُغارِ الفتلِ شُدَّتْ بيدُبُلٍ
 فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
 ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ
 ويقول الآخر مبيناً أن سبب طول الليل هو هجران الحبيب وفقدان
 الأنيس، وأن قصره هو الاجتماع به فيقول :

لا أظلمُ الليل ولا أدعي أن نجوم الليل ليست تغورُ
 ليلي كما شاءتْ فإن لم تجُدْ طال وإن جادتْ فليلي قصيرُ
 ولكن المسلم له مع الليل شأنٌ عجيب، والمؤمن له من الليل موقف
 غريب، فهو يتربقب قدومه وينتظر حلوله ليأنس فيه بلذة المناجاة، وحلاوة
 المناداة.

المؤمن يحب الليل؛ لأنه يقترب فيه من مولاه، فيخطب ودّه ورضاه،
 يصفئ فيه أقدامه، ويشكو فيه آلامه، فهو ينثر في سكونه دموعه، ويعلن
 توبته ورجوعه، إذا نام الناس قام، وإذا غفلوا أفاق، في الليل تزكو
 النفوس، وترق القلوب، وتجد العيون، وتخشع الأبدان، ويحلو
 القرآن، وينزل الرحمن، فهو حبيب المؤمن وأنيس الطائع، وسلوة
 الخاشع. وقد جعل الله تعالى الليل ميداناً لتنافس الطائعين، وبرهاناً
 لمحبة المحبين، ودليلاً على صدق الموحدين.

فإنَّ تعلّم الإخلاص للمحبوب لا يكون إلا في الليل .
 سيبدو لكم في مضمرة القلب والحشا سريرة حبّ يوم تبدو السرائرُ
 وإن الذين عرفوا ليلَ أهميته، وللتهجده قيمته، فقاموا حتى تورمت

أقدامهم، وشحبت ألوانهم، هم في الوقت نفسه الذين عمروا النهار بالجهاد والبذل والتضحية هم أنفسهم الذين دَوَّخُوا الباطل وزلزلوا الظلم، ودمَّروا الوثنية.

مضوا يحفرون بدمع القيام وبذُل الدماء طريق الإياب

* * *

قومٌ إذا جنَّ الظلام عليهمُ باتوا هنالك سُجَّداً وقياماً
 خمص البطون من التعقّف ضُمراً لا يعرفون سوى الحلال طعاما
 ولقد قام ﷺ حتى تورمت قدماه، واستمع إلى هذا الحديث الرهيب
 الذي ترويه عائشة رضي الله عنها وأرضاها تقول: قام ليلة من الليالي
 فقال: «يا عائشة ذريني أتعبد لربي» قالت: قلت: والله إني لأحب قربك،
 وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى
 بل حجره ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، وجاء بلال يؤذن
 بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم
 من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليّ الليلة
 آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَأَخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾» [آل عمران] [رواه ابن حبان وصححه
 الألباني].

يقول شوقي:

مُحِبِّي الليالي صلاة لا يقطعها
 مسبحاً لك جنح الليل، محتملاً
 رضيةً نفسه لا تشتكي سأمأ
 إلا بدمع من الإشفاق منسجم
 ضراً من الشهد أو ضراً من الورم
 وما مع الحب إن أخلصت من سأم

وقلت:

لَمَّا أَتَيْتُكَ «قَمَ اللَّيْلِ» اسْتَجَبْتَ لَهَا العَيْنُ تَغْفُو وَأَمَّا الْقَلْبُ لَمْ يَنْمِ
تُْمَسِي تَنَاجِي الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ حَتَّى تَغْلُغَلَّتِ الْأَوْرَامُ فِي الْقَدَمِ
أَزِيضُ صَدْرِكَ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ سَرَى وَدَمَعُ عَيْنِكَ مِثْلَ الْهَاطِلِ الْعَمِيمِ
اللَّيْلِ تَسْهَرُهُ بِالْوَحْيِ تَعْمَرُهُ وَشَيْتَتِكَ بِهَوْدِ آيَةِ «اسْتَقِمِ»
وَاللَّهُ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَعْطَى اللَّيْلَ مَا لَمْ يَعْطِ النَّهَارَ
وَمَيَّزَهُ بِمَيَّزَاتٍ، وَخَصَّهُ بِمُنَاسِبَاتٍ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى شَرَفَهُ بِأَن
جَعَلَهُ زَمَنًا لِنَزُولِهِ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَكَفَى بِهَا مُنْقَبَةً، وَحَسِبَكَ بِهَا
مُحَمَّدَةٌ.

يَمْرُ الصَّبَا دَوْمًا بِسَاكِنِ ذِي الْغَضَا وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهَبَ هَبُوبُهَا
قَرِيبَةً عَهْدٍ بِالْحَيِّبِ وَإِنَّمَا هُوَى كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا
وَحِينَمَا أُسْرِي بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُمْ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. حِينَمَا كَانَ ذَلِكَ فَهُوَ إِعْلَانٌ بِأَنَّ اللَّيْلَ
هُوَ زَمَنُ اتِّصَالِ الْفَنَاءِ بِالْبَقَاءِ، وَالضَّعْفِ بِالْقُوَّةِ، وَالْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ عِلْمٌ
بِذَلِكَ أَنَّ اللَّيْلَ زَمَنُ الْعَطَاءِ، وَالنَّمَاءِ، وَالْوَفَاءِ، وَالرَّجَاءِ، وَالِدُعَاءِ ﴿أَقْبِرْ
الضَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ
مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مُحْمَدًا ﴿٧٩﴾

[الإسراء: ٧٨-٧٩]

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]

وَاللَّيْلُ كَانَتْ فِيهِ بَدَايَةُ الْوَحْيِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَدَايَةُ تَكْلِيمِ اللَّهِ

﴿ وَهَلْ أُنْتِكَ حَدِيثٌ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ٩-١٤]

يا جار إن الركب قد حاروا فاذهب تحسّن لمن النار
تبدو وتخبو إن خبت وقفوا وإن أضاءت لهم ساروا
والليل جعله الله زمنًا لنجاة أنبيائه من أعدائهم حينما أراد إهلاكهم فقال
لموسى ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتَوْلَاءَ قَوْمٌ مَجْرُمُونَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾
وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الدخان: ٢٢-٢٤]

وقال للوط عليه السلام حينما أراد الله تعالى إهلاك قومه ﴿ قَالُوا يَلُوطُ
إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ
إِلَّا أَمْرًا نَكًّا إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾
[هود: ٨١]

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا بَلْ
جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤﴾ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ
بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾
[الحجر: ٦١-٦٥]

والليل فيه أنزل القرآن ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر: ١]
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣]

والليل جعله الله زمنًا لنجاة أوليائه حينما حكم على أقوامهم
بالدمار ﴿ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا

حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾ . والحديث مع الليل طويل وطويل، وجميل وجميل، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وقبل أن نودع الليل بسكونه الرهيب، وظلامه الحالك، وهيبته العظيمة دعني أخي المسافر أنتهز هذه الفرصة فأذكر نفسي وإياك ببعض الآيات والأحاديث العظيمة التي تدل على شرف الليل وأهميته وعظمة الأجر لمن عمره بذكر الله، وصلى فيه طاعة لمولاه.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيئٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

[الزمر: ٩]

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ ﴿٤﴾

[ق: ٤٠]

وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَمُونَ ﴿٧﴾

[الذاريات: ١٧]

وقال تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا

[السجدة: ١٦]

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾

بييت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع
أما الأحاديث فهي العجب العجاب ومنها:

* «ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يمضي الفجر»

[رواه مسلم]

* «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن

تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» [رواه الترمذي]

وإليك هذا الحديث الرائع، الماتع، العجيب، الغريب، الرهيب:

* «ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم:

الذي إذا انكشفت فته قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يُقتل وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه.

والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل، فيقول الله تعالى: يذُرْ شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد.

والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب فسهروا، ثم هجعوا، فقام من السحر في ضراء وسراء» [رواه الطبراني]

وقال ﷺ:

* «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعاً كتباً ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات» [صحيح الجامع]

ومن ميزات الليل أن السفر فيه يحلو، والأرض فيه تطوى كما قال الحبيب المصطفى ﷺ: «وعليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل» [الصحيحة: ٦٨٢].

كان ابن سيرين - رحمه الله - يتحدث بالنهار ويضحك، فإذا جاء الليل أخذ في البكاء والعويل:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزّني إليك المضاجعُ
أفضي نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعني والهّم بالليل جامع
كانت عابدة لا تنام من الليل إلا يسيراً فعوتبت في ذلك: فقالت كفى

بطول الرقدة في القبور رقاداً.

أيها العذال لا تعذلوا إنما العذل لمن يقبلُ
وأرى ليلي لا ينقضي طال ليلي والهوى أطولُ

قالت أم محمد بن المنكدر: يا بني أشتهي أن أراك نائماً؟ فقال: يا أماه إن الليل ليردُ عليّ فيهلوني فينقضي عني وما قضيتُ منه ما ربي .
وصاحب رجلٌ رجلاً شهرين فما رآه نائماً، فقال: مالك لا تنام؟
فقال: إن عجائب القرآن أطرنُ نومي، ما أخرج من أعجوبة، إلا وقعتُ في أخرى.

قال سفيان: إن لله ريحاً تسمى الصباحية، مخزونة تحت العرش، تهبُّ عند الأسحار فتحمل الأئين والاستغفار. وقد كان سفيان هذا إذا أراد أن ينام يتقلب كما تتقلب الحبة في المقلَى، فإذا ما غفا قليلاً قام يصيح مذعوراً:

النار النار شغلني ذكر النار عن النوم.

دع الهوى لأناس يُعرفون به قد مارسوا الحب حتى لان أصعبه
بلوتَ نفسك فيما لست تخبره والشيء صعبٌ على من لا يجربه
فاقن اصطباراً وإن لم تستطع جلدأ فربّ مدرك أمر عزّ مطلبه
أحنو الضلوع على قلب يحيرني في كل يوم ويضنيني تغلبه
تناوح الريح من نجدٍ يهيجُهِ ولا مع البرق من نعمان يطربهُ

قال ابن الجوزي: قلب المحبّ تحت فحمة الليل جمرةٌ كلما هبّ
النسيم التهبّت. ومن صلى بالليل حسن وجهه بالنهار، فوّام الليل قطعت
نياق جدّهم بادية الليل ولم تجد مس التعب فالطريق إلى المحبوب يطول.

بدا لها من بعد ما بدا لها روض الحمى أن تشتكي كلالها
 أذكرها مرّ النسيم سحرأ مراتعاً تفيأت ظلالها
 تحسبها سكرى وما ذاك بها وإنما شوق الحمى أمالها
 قال علي بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر.
 أخي المسافر، قد سمعت أخبار المسافرين المتقين مع الليل فسرّ في
 سربهم، وتناول من شربهم، لقد أطار خوف النار نومهم، وأطال ذكر
 العطش الأكبر صومهم، يحسبهم الناظر مرضى الأبدان وإنما بهم سقام
 الأحران.

مكتئبٌ ذو كبدٍ حرّى تبكي عليه مقلّةٌ عبرى
 يرفع يميناه إلى ربّه يشكو وفوق الكبد اليسرى
 يبقى إذا حدثته باهتأ ونفسه مما به سكرى
 تحسبه مستمعاً ناصتأ وقلبه في أمةٍ أخرى

أخي المسافر لا يفتك حظك من الليل، ولا تغفل عن عطاء العلي
 الجليل، فإن أمامك يوماً ثقيلاً، وخطباً جليلاً، واعلم أن ناشئة الليل هي
 أشدُّ وطئاً وأقوم قيلاً، فاذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً.

ياأيها الراقد كم ترقدُ قم يا حبيبي قد دنا الموعدُ
 وخذ من الليل وساعاته حظاً إذا ما هجع الراقدُ
 من نام حتى ينقضي ليلُهُ لم يبلغ المنزل أو يجهدُ
 قل لذوي الأبواب أهل التقى قنطرة الأرض لكم موعدُ

أيها الراقد

وقال الشيخ عبدالعزيز بن حمد - رحمه الله - في الحضر على قيام الليل :

أيُّها الراقِدُ ذا اللَّيْلِ التَّمَامِ قُمْ بَجِدِّ فَالليالي في انصرامِ
وتقرَّبِ بِصلاةٍ وصيامِ وابتهلِ لله في جُنْحِ الظَّلامِ

فعسى تلحق بالقوم الكرامِ

أيُّها الراقِدُ ذا اللَّيْلِ الطويلِ ليس في الدنيا مقامٌ يا نبيلِ
ضُرِبَتْ والله أبواقُ الرَّحيلِ وسرى الرَّكْبُ بوَحدِ وذَميلِ

يتبارون إلى دار السلامِ

أيُّها الراقِدُ كم هذا الهجودِ ماترى القوم استعدوا للوفودِ
بقيامِ ورُكوعِ وسجودِ وخشوعِ وخضوعِ للودودِ

ودموع تتجارى كالغمامِ

منهم من ملَّكَ الشوقَ الرِّمَامَا وفني في الله حُبًّا وغرامَا
وبشرطِ الوصلِ يستخلي الحِمَامَا كُلُّما ذاق من التقريبِ جَامَا

زاد شوقاً ولفرط الشُّكرَ هامِ

أيُّها الراقِدُ كم هذا الكرىِ إن أهل الله جدُّوا في الشرىِ
طلَّقوا الدُّنيا ومرُّوا زُمَرَا أفترضى أنت أن تبقي ورا

فاستعن بالله وانهض باهتمامِ

أيُّها الرَّاقِدُ كم هذا الرُّقادِ قُمْ بإخلاصٍ وجدِّ واجتهادِ
وتزوِّدْ فالتقى أفضلُ زادِ إنَّ أهل الجدِّ فازُوا بالمرادِ

من يطع مولاه يظفر بالمرامِ

كيف يَهْنَى بِمَنَامٍ وَسُبَاتٍ عَالِمٌ أَنْ سَوْفَ يَلْقَى السَّكَرَاتِ
 وَيَذُوقُ الْمُرَّ مِنْ كَاسِ الْمَمَاتِ رَبِّ وَفَقْنَا وَأَيُّدُ بِالثَّبَاتِ
 عِنْدَمَا نَجْرَعُ كَاسَاتِ الْحِمَامِ
 إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَعُرُوزٌ كَلْنَا فِيهَا عَلَى وَشِكِ الْعُبُوزِ
 لَا تَعْرُتُكَ هَاتِيكَ الْقُصُوزُ كُلُّ مَنْ فِيهَا سَيَمُضِي لِلْقُبُورِ
 مُلْصِقًا بِالرَّغْمِ خَدًّا لِلرَّغَامِ
 آهٍ مِنْ ذِكْرِ الْبَلَى مَا أَوْجَعَهُ آهٍ مِنْ دَاعِ النَّوَى مَا أَسْمَعَهُ
 آهٍ مِنْ هَوْلِ اللَّقَا مَا أَفْطَعَهُ آهٍ مِنْ كَاسِ الرَّدَى مَا أَبْشَعَهُ
 رَبِّ نَبِّئْنَا لَدَى ذَاكَ الْمَقَامِ

في الليل

للشاعر أمين عزت

اسكتي يا طيور! لا تملئي الليل
وقفي يا غصون لا تتناغي
طاب لي مجلسي بعيداً عن السم
فتنتني سكينه الليل، واللي
واحتواني الظلام حتى كأني
وكان السماء صحراء خرسا
وكان الليل البهيم عباب
بين شطين من ظلام قد امتد
امتداد العصور والأحقاب
نام زهر الرياض في سرر العشب
وسرت روح شاعر يعشق الحسب
إنما الليل للذي يعرف اللي
قدس الليل، إنه هيكل السحب
غناء بصوتك الخلاب
بحديث الهوى وهمس العتاب
ار، في نجوة من الأصحاب
ل سكون يطير بالألباب
قطعة منه في سواد إهاب
ء بدا نجمها كومض السراب
وأنا سابع بهذا العباب
ب ونامت على السفوح الروابي
ن فرفت في الليل بين السحاب
ل وما فيه من معانٍ عذاب
ر ووحى الهوى وستر الشباب

عابد ليل

يقول ابن الرومي واصفاً عبّاد الليل ورهبانه :

بات يدعو الواحد الصمدا	في ظلام الليل منفردا
خادم لم تُبقي خدمته	منه لا رُوحاً ولا جسدا
قد جفت عيناه غمضهما	والخليّ القلب قد رقدا
في حشاه من مخافته	حُرقاتٌ تلذع الكبدا
لو تراه وهو منتصبٌ	مُشعراً أجفانه السهدا
كلما مرّ الوعيدُ به	سح دمعُ العين فاطردا
ووهت أركانه جزعاً	وارتقت أنفاسه صُعدا
قائلٌ: يا منتهى أملي	نجّني مما أخاف غدا
أنا عبدٌ غرني أملي	وكأنّ الموتَ قد وردا
وخطيئاتي التي سلفتُ	لستُ أحصي بعضها عددا
فليّ الويل الطويل غداً	ليت عمري قبلها نفدا
ويح عيني ساء ما نظرتُ	ويح قلبي ساء ما اعتقدا
ليت عيني قبل نظرتها	كُحِلتُ أجفانها رمدا
فإذا مرّ الوعيد به	كاد يُفني روحه كمدا
وإذا مرّ الوعود به	شدّ منه القلب والعضدا

وبهذا القدر أخي المسافر نكتفي وإلى اللقاء مع آية من آيات الله في هذا

الكون العجيب .